البلاغة والبلاغيون

نجم الدين الحاج عبد الصفا*

Abstrak

Ilmu dalam bahasa Arab yaitu Balaghah (Retorika Bahasa Arab), mulai dari sebelum menjadi ilmu tersendiri, terbentuknya sebagai ilmu tersendiri dan penulisannya secara sistimatis, balaghah dengan kajian kritik sampai perkembangan kajian balaghah dengan pesatnya. Disamping itu, tulisan ini menjelaskan juga para tokoh yang berjasa menulis dan mengembangkan Ilmu ini.

هناك تساؤلات ينبغي علينا أن لا نمر بها مر السحاب بدون تقديم إجابات مقنعة على من صدرت منه هذه التساؤلات ، منها : متى ظهر علم البلاغة ، أو بعبارة أخرى، متى بدأت كتابة البلاغة العربية ؟ من الذي يعتبر أول واضعي هذا العلم ؟ وأي كتاب يعد أول ما يحمل في طياته الدراسات البلاغية ؟ و كيف يتطور هذا العلم عبر عصوره المختلفة ؟

و سنحاول في هذا البحث إلقاء الضوء لهذه التساؤلات بدراسة تطور هذا العلم عبر العصور ، و لذلك عنونت هذا البحث بـ "البلاغة والبلاغيون " . وبناء على هذه الدراسة و التتبع اتضح لنا أن البلاغة تمر بأربع مراحل في تطورها عبر العصور ، أولاها البلاغة العربية قبل التأليف ، الثانية تأليف البلاغة العربية و الدراسات المنهجية ، والثالثة البلاغة العربية والدراسات النقدية ، والرابعة الدراسات البلاغية وازدهارها .

البلاغة العربية قبـل التأليـف

وترجع هذه المرحلة إلى عصر ما قبل الإسلام حيث أخذت الملاحظات البلاغية تظهر منذ العصر الجاهلي ، وإن كانت العرب في أول أمرهم لا يوجهون اهتمامهم إلى الدراسات البلاغية، لأن العرب لهم ذوق ، وفيهم طبع في حياتهم الأولى، فكانوا في غني من التحليل و التوجيه و التعليل و الأحكام النقدية و أصول البيان العربي ، وكانت أصول البيان إذ ذاك بعيدة عن البحث و الدراسة.

* Dosen Jurusan Sastra Asia Barat Fakultas Sastra UNHAS

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا العلم بدأ في شكل ملاحظات بسيطة كان ينشرها العرب في الجاهلية . ومن أكثر الدلالة على ماحذقوه من حسن البيان أن كانت معجزة الرسول القرآن الكريم، و حجته القاطعة لهم أن دعا أقصاهم و أدناهم إلى معارضة القرآن و بلاغته الباهرة، وهي دعوة تدل في وضوح على ما أتوه من اللسن و الفصاحة و القدرة على حوك الكلام، كما تدل على بصرهم بتميز أقدار الألفاظ والمعاني، و تبين ما يجري فيها من جودة الإفهام و بلاغة التعبير (ضيف ١٩٦٥: ٩).

و مما يدل على الدقة في الملاحظة البلاغية ما أثر من قول الوليد بن المغيرة أحد ألداء خصوم الرسول صلى الله عليه و سلم حينما استمع إليه وهو يتلو القرآن: " والله لقد سمعت من محمد كلاما، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن علاه لمثمر، وان أسلفه لمغدق " (المرجع المذكور ١٩٦٥: ٩) .

وكان البلغاء من الخطباء و الشعراء حينذاك لم يكونوا يقبلون كل ما يرد على خواطرهم ، بل لا يزالون ينقحون و يجودون حتى يظفروا بأعمال جيدة ، وهي أعمال كانوا يجيلون فيها الفكرة، و يعاودون النظر، متكلفين جهودا شاقة في التماس المعنى المصيب مرة، والتماس اللفظ المتخير تارة أخرى، يقودهم في ذلك بصر محكم يميزون به المعاني و الألفاظ بعضها من بعض بحيث يصونون كلامهم عما قد يفسده أو يهجنه .

ووقوف الشعراء في اختيار الألفاظ و المعاني و الصور ، وسوقهم أحيانا ملاحظات بلاغية لا ريب في أنها أصل الملاحظات البيانية في البلاغة العربية ، و خير مثال نبرهن به أن في أشعارهم تزخر بالتشبيهات و الاستعارات ، و تناثر فيها ألوان من المقابلات و الجناسات مما يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يعنون عناية واسعة بإحسان الكلام و التفنن في معارضة بلاغية.

و ظل الأمر في هذه الحالة دون أن تعثر على تلك الملاحظات البلاغية مرونة في صفحات الكتب إلى عصر صدر الإسلام . و في ظلال الحياة الإسلامية اختلطت العناصر، و تمازجت الثقافات، فلقحت العقول، و أصابت الألسنة أثار من اللكنـة و اللحن . فأخذ أئمة العربية يعملون في صبر و عزيمة في وضع أصول النحو العربي و جمع مواد اللغة العربية، و صحب ذلك دراسات أخرى تتناول البيان العربي و أصوله و مذاهبه بالبحث و التحليل، و أخذت تتكون من تلك الدراسات النواة الاولى للبيان العربي، و ظل التقدم الفكري و النضوج الأدبي و العلمي يسيران مع هذه البحوث و الدراسات نحو الكمال المنشود بخطوات كبيرة (القزويني ١٩٨٣: ١٦).

تـأليف البلاغة العربية و الدراسـات المنهـجية

بدأت هذه المرحلة في أوائل العصر العباسي حيث أن البلاغة العربية تتطور من تسجيل الملاحظات البلاغية إلى وضع القواعد البلاغية . وكان المتكلمون وفي مقدمتهم المعتزلة أنشط المساهمين في وضع قواعد البلاغة و بسط مباحثها المنهجية، و اعتبروا ملاحظات اللغويين ملاحظات ظاهرية لا تتعمق بالمعاني، ولا تكشف عما وراء اللفظ من دلالة، فوجهوا دراستهم لبيان الأسلوب، فكانوا أقدر من غيرهم في تفهم دقائق النظم لما توفر لهم من قدرة في الفصاحة و البيان ، و تنوع في الثقافات، وجمعهم لعيون الأدب شعرا و نثرا ، فلاحظوا ملاحظات عامة في الكلام ، ودونوها في كتبهم .

وذكر صاحب كتاب " نظرية النظم" ص ١١٨ أن أول من ألف كتابا في البلاغة هو بشر بن المعتمر (٢٠٥ هـ) ، وهو يريد بكتابه أن يرشد الناس به إلى القول البليغ و خصائصه . و وافقه الدكتور عبد المنعم خفاجي على السبق لابن المعتمر في وضع كتاب في البلاغة حيث نقل قول الجاحظ من كتاب "البيان و التبيين" في قوله: " أن بشرا مر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة وهو يعلم الفتيان الخطابة، فوقف بشر، فظن إبراهيم أنه إنما وقف لتستفيد أو ليكون رجلا من النظارة ، فقال بشر: اضربوا عما قال صفحا ، وأطووا عنه كشحا ، ثم دفع إليهم صحيفة من تخبيره و تنميقه في اصول البلاغة و عناصر البيان" . (خفاجي ١٩٨٣: ٤٨) .

وقد وجه ابن المعتمر اهتمامه إلى أهمية اللفظ و المعنى و الملاءمة بينهما ، فالمعنى الكريم يحتاج إلى لفظ كريم، و البليغ التام – عنده – من استطاع أن يفهم العامة معاني الخاصة، ثم لابد من الملائمة بين المعنى و المستمعين، فلكل طبقة كلام، ولكل حال مقام، وذلك في قوله: إياك و التوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، و التعقيد يستهلك معانيك و يشين ألفاظك، ومن أراد معنى كريما فليتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف، اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما و يهجنهما " (المرجع المذكور ١٩٨٣: ٦٢) ثم قال :...و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، و كذالك ليس يتضح بان يكون من معانى العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال. وكذالك اللفظ العامي و الخاصى، فإن أمكنك ان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك ان تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة

التى لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام". (خفاجى ١٩٨٣: ٦٣).

ونجد أيضا من اللغويين من لهم اهتمام بالمسائل البلاغية، وإن كان بعضهم لا يفردون كتابا مستقلا فى البلاغة، كما فعل سيبو يه (١٨٨ هـ) في كتابه حيث عنى فيه بالمسائل المتعلقة بعلم المعاني مثل التقديم و التأخير و التعريف و التنكير و الحذف و معاني بعض الأدوات.

وتعرض أيضا الفراء (٢٠٧ هـ) في كتابه " معاني القرآن " عند شرح الآيات القرآنية عن التراكيب و تأويل العبارات، و عن التقديم و التأخير و الإيجاز و الإطناب و بعض الأدوات ، وأشار كذلك إلى بعض الصور البيانية من التشبيه والاستعارة و الكناية .

و يعاصر الفراء عالم لغوي وهو أبو عبيدة (٢٠٨ هـ) الذي يعتبر أول من تكلم بالمجاز بالمعنى البلاغي الاصطلاحي، وإن كان المراد بالمجاز عنده هو " الدلالة الدقيقة لصيغ التعبير القرآنية المختلفة (ضيف ١٩٦٥: ٢٩) .

وإذا كان أبو عبيدة أول من تعرض بالمجاز، فإن الاصمعي (٢١هـ) يعد أول من ألف كتابا في " التجنيس" ، وأول من اقترح مصطلح " الالتفات" في البلاغة الذي تأثر به ابن المعتز (٢٧٤ هـ) في تقسيمه إلى نوعين: نوع ينصرف فيه المتكلم عن المخاطبة إلى الأخبار، و عن الأخبار إلى المخاطبة ، و نوع ثان ينصرف فيه المتكلم عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر (المرجع المذكور ١٩٦٥: ٣٠-٣١) . وتنبه أيضا الاصمعي إلى نوع من اللون البلاغي المسمى بـ"الايغال" حيث تأثر به قدامة بن جعفر (٣٢٧ هـ) في تعريفه له بقوله: " وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما غير أن يكون لقافية في ما ذكره صنع ، ثم ياتي بها لحاجة الشعر، فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت " (جعفر ص ١٦٨) .

ومن ابرز علماء المعتزلة الذين لهم دور في تأسيس قواعد البلاغة العربية هو أبوعثمان عمرو بن بحر، المشهور بالجاحظ (٢٥٥ هـ) . وقد ألف كتابه الأدبي و البلاغي، " البيان و التبين " في أربع مجلات . وكتابه هذا عطاء مميز ، وخير ما يجسد الجاحظ في آرائه و مواقفه الأدبية عامة ، والبلاغة العربية خاصة ، وهو صورة صادقة عما وصل إليه العرب في عصر الجاحظ في تأسيس الأدب و البلاغة و التذوق و التأليف فيها، و لعل هذا ما عناه ابن العميد غلى حد ما في قوله: " ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أشخاص ، أما الفقه فعلى ابي حنيفة، وأما الكلام فعلى ابي الهذيل، واما البلاغة و الفصاحة فعلى الجاحظ" (حطيط ١٩٨٧: ٥٣) .

ومن الأهداف التي يرمى إليها الجاحظ في تأليف كتابه " البيان و التبيين " هي:

ا - انطلاقه مع الميل إلى العطاء الموسوعي.

ب – رغبته بالتنوع في أعماله الفكرية والأدبية .

ج – اندفاعه للرد على الشعوبية المعادية و المعارضة للجماعة العربية في زمنه، ذلك بإظهاره مآثر العرب في مجال البيان

د - ابراز معالم و قواعد البلاغة عند العرب.

هـ - تقديم ما في مواضيع البيان و التبيين من طرف و نوادر ممتعة و معبرة (المرجع المذكور ١٩٨٧: ٥١) .

و الجاحظ يتأثر برأى ابن المعتمر عن صفات الألفاظ و المعاني و وجوب مطابقة الكلام لسامعيه، ويحاول دائما أن يؤكد هذه الفكرة حتى لاحظ ملاحظة دقيقة في " أن الذكر الحكيم حين يتجه بخطابه إلى العرب الفصحاء يعمد إلى الايجاز والاقتضاب ، فإذا عمد إلى مخاطبة اليهود اطال وأطنب في الكلام لنقص فصاحتهم " (ضيف١٩٦٥: ٤٧) . وتوسع الجاحظ عند حديثه عن الاطناب و الايجاز و مواضعهما، ولم يعن بالايجاز مجرد قصر الألفاظ و قله كميتها، وإنما أراد مساواتها الدقيقة للمعاني دون زيادة . وقد يمتد الكلام صفحات و يسمى موجزا ،كما ينكر أن يكون الايجاز بقصر الكلام ، وينكر ان يكون الاطناب باتساع القول من حيث هو، فقد يكون الاتساع فيه من باب الايجاز، وقد يكون الكلام قصيرا ، ومع ذلك يعد مطنبا، فالعبرة بالمواقف و المقامات (المرجع المذكور ١٩٦٥: ٤٨) .

ومن أطرف ما تنبه إليه الجاحظ انكاره أن تكون دلالة الألفاظ المترادفة واحدة، ويطبق رأيه هذا في مواقع الألفاظ في القرآن الكريم حيث أن الكلمة المرادفة الأخرى لا يصح ان تستخدم مكانها، بل ان صيغة الكلمة ينبغي ان لا تتغير، وان تظل على صورتها من الافراد أو الجمع .

وأورد الجاحظ مصطلحات بلاغية لم يسبقه أحد في التسمية منها اصابة المقدار، و سماه البلاغيون بعده باسم " الاحتراس " و الهـزل يراد به الجد ، الاعتراض و التعريض، الاستعارة و الكناية (المرجع المذكور ١٩٦٥: ٥٤) .

و من مواقفه النقدية و البلاغية أيضا أنه لا يوافق راى من يقوم بتفضيل القديم على المحدث، و ذلك في قوله: " وقد رأيت أناسا منهم يبهرجون أشعار المولدين و يستطيعون من رواها، ولم أر ذلك قط الا في رواية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى ، ولو كان له بصر لعرف

موضع الجيد ممن كان، وفي أي زمن كان " (عباس ١٩٨١: ٩٥) .وراى أيضا ان الشعر إنما يعتمد على ثلاثة عناصر: الغريزة اي الطبع العام المواتي للشعر، و البلد أي البيعة، و العراق أي الصلة الدموية (المرجع المذكور ١٩٨١: ٩٦). و ذهب كذلك إلى أهمية حسن الصوغ وكمال الترتيب و دقة تأليف اللفظ و جمال نظمه دون المعنى، لأن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمى و العربي و البدوي و القروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولة المخرج و كثرة الماء و في صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة و ضرب من التصوير (ضيف ١٩٦٥: ٥٢) .

وبهذا كله فليس من المبالغة إذا قلنا إن الجاحظ يعد مؤسس البلاغة العربية ، لأنه قد أفرد لها لأول مرة كتابه " البيان و التبين " ، و نثر فيه كثيرا من ملاحظاته و ملاحظات معاصريه، وحكى آراء السابقين ، و سجل آراء بعض الأجانب .

وعلى الرغم من أن الجاحظ قد ألم في كتابته بالصور البيانية المختلفة و بكثير من فنون البديع، غير أنه لم يسبق ذلك في تعريفات و تحديدات، فقد كان مشغولا بإيراد النماذج البلاغية، و قلما عني بتوضيح دلالة المثال على القاعدة البلاغية التي يقررها .

و ممن تأثر الآراء البلاغية للجاحظ هو ابن المعتز (٢٩٦ هـ) فوضع كتابا في البلاغة و هو كتاب البديع . و اما الهدف من وضع كتابه هذا فهو يريد أن يثبت أن المحدثين لم يخترعوا البديع الذي يلهجون به، وإن ما يكثر منه المحدثون مما يسمى بديعا موجود من قديم في القرآن و الحديث و كلام الجاهليين و الاسلاميين ، لأن هناك من يزعم أن المحدثين هم الذين أنشأوا البديع من عدم ، فلن تكن العربية تعرفه حتى ظهر بشار وأبو نواس و مسلم وأبو تمام.

وقد جعل ابن المعتز فنون البديع خمسة وهي الاستعارة و التجنيس و المطابقة و الطباق ورد الاعجاز على تقدمها و المذهب الكلامي ، و غير هذه الخمسة من محاسن الكلام . واعترف بانه لم يسبق إليه أحد في وضع هذه الفنون و تأليف كتاب مستقل فيها ، و صرح ذلك بقوله: " قد قدمنا أبواب البديع الخمسة و كمل عندنا" (ضيف ١٩٦٥: ٦٨) ثم قال: " فأما العلماء باللغة و الشعر القديم فلا يعرفون هذا الإسم ولا يدرون ماهو ، وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد" (المرجع المذكور ١٩٦٥: ٦٨-٦٩). وقال أيضا: "ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة، فمن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع او لم يأب غير رأينا فله اختيارنا" (المرجع المذكور ١٩٦٥: ٦٩).

وقد جعل ابن المعتز هذه الفنون الخمسة عماد البديع، ثم تحدث بعقبها عما سماه محاسن الكلام ، و قسمها إلى ثلاثة عشر محسنا، وهي:

(١) الالتفات
(٢) الاعتراض
(٣) الرجوع
(٤) الخروج من معنى إلى معنى (سماه أبو تمام بـ "الاستطراد"
(٥) تأكيد المدح بما يشبه الذم
(٦) تجاهل العارف
(٧) الهزل يراد به الجد (استمده من الجاحظ)
(٨) حسن التضمين (وجعله الجاحظ من عيوب الكلام ، لا من محاسنه)
(٩) التعريض بالكناية (من الجاحظ و اللغويين)
(١٠) الافراط في الصفة (وسماه قدامة بعده بـ "المبالغة")
(١١) حسن التشبيه
(١٢) إعنات الشاعر نفسه في القوافي و تكلفه من ذلك ما ليس له (واصطلح عليه من جاؤا بعده باسم "لزوم ما لا يلزم)
(١٣) حسن الابتداء (ضيف ١٩٦٥: ٧٢-٧٤)

وخلاصة القول عن كتاب البديع لابن المعتز نورد قول الدكتور شوقي ضيف (١٩٦٥: ٧٥) " ومن أهم ما يميزه في الكتاب دقة ذوقه، و صفاؤه في اختيار الأمثلة و الشواهد . و يكفيه فضلا أنه اول من صنف في البديع ، ورسم فنونه ، و كشف عن أجناسها و حدودها بالدلالات البينة و الشواهد الناطقة بحيث أصبح إماما لكل من صنفوا في البديع بعده ، و نبراسا يهديهم الطريق" .

البلاغة العربية والدراسات النقدية

أخذ النقد الأدبي في القرن الثالث الهجري يستقل بالبحث و التأليف على أيدي النقاد و علماء الأدب و البلاغة و غيرهم من الذين خاضوا في أصول الموازنات و البلاغة و موازين النقد . فظهر الخلاف في الدراسات النقدية على أسس بلاغية منذ ذلك العصر حتى يكون مذهبان واضحان في دراسة الشعر و تحليله الأدبي و البلاغي، وهما :-

(١) مذهب أبي تمام الذي كان يعني – بتأثير ما ثقف من الفلسفة و غيرها من ضروب الثقافة – بالتعمق في معانيه، كما كان يعني بمحسنات البديع حتى يسرف فيها إسرافا شديدا .

(٢) و مذهب البختري الذي لم يكن يأخذ نفسه بفلسفة ولا بثقافة، حتى كاد يلحق بالأوائل، وهو مع ذلك كان يستخدم محسنات البديع ، و لكنه دون اسراف أو إفراط (المرجع المذكور ١٩٦٥: ١٢).

واستمرت هذه الحالة إلى القرن الرابع الهجري حتى لمع في سماء هذا المجال علماء في النقد و البلاغة ، وهؤلاء ابن طباطبا (٣٢٢ هـ) بكتابه " عيار الشعر" و قدامة بن جعفر (٣٢٧ هـ) بكتابه " نقد الشعر " و " نقد النـثر " و الآمدى (٣٧١ هـ) بكتابة " الموازنه بين أبي تمام و البختري" وعلى بن عبد العزيز الجرجاني (٣٩٢هـ) بكتابه " الوساطة بين المتنبي و خصوصه" وأبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) بكتابه " الصناعتين " والباقلاني (٤٠٣ هـ) بكتابه " إعجاز القرآن " وابن رشيق القيرواني (٤٦٣ هـ) بكتابه " العمدة في صناعة الشعر ونقده " وابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) بكتابه " كتاب سر الفصاحة " .

وعلى الرغم من كثرة الكتب والمؤلفات التي تتحدث عن فنون البلاغة في هذا العصر ، فإن أبوابها ومباحثها ما زالت مختلطة وغير متميزة حتى عند عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) الملقب بشيخ البلاغة .

الدراسات البلاغية وازدهارها

يرى الدكتور شوقي ضيف هذه المرحلة أنها بدأت بظهور الإمام عبد القاهر الجرجاني حيث أن التأليف والدراسات البلاغية في عصره وما بعده قد تعددت وازدهرت . وكان الإمام أول من هذب مسائل البلاغة ، وأسس قواعدها وبوبها ورتبها ، واهتم بوضع نظريتي النظم والبيان في كتابيه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " (ضيف ١٩٦٥ : ١٦٠ و ١٩٠ ، وقليلة ١٩٩١ : ١٧) .

ثم تبع الزمخشرى (٥٣٨ هـ) الجرجاني فى الجديب عن المسائل البلاغية في كتابه مما يدل على أنه درسهما واستوعبهما ، ويلمس ذلك بوضوح من يقرأ كتابه القيم " الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " . وكان الزمخشرى أول من

فصل فصلا تاما بين علمي المعاني والبيان ، بل إنه هو صاحب هذه التسمية التي صارت نهائية بقوله في مقدمة الكشاف : "فالفقيه وإن برز على الاقران في علم الفتاوى و الاحكام ، و المتكلم وان بز أهل الدنيا في صناعه الكلام ، وحافظ القصص والاخبار ، وان كان من ابن القرية احفظ ، و الواعظ وان كان من الحسن البصري أوعظ، و النحو وان كان انحى من سسيبويه، و اللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه ، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ، الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني و علم البيان، وتمهل في أرض في ارتيادهما آونة ، و تعب في التنقير عنهما أزمة " (قلقيلة ١٩٩١: ١٨).

ولما كان الكشاف كتابا في التفسير لا في البلاغة، فقد كان طبيعيا ان تأتي الفنون البلاغية فيه على حسب مجيئها في سور القرآن الكريم ومن خلال آياته، ولا ننتظر أن تكون مرتبة الترتيب الذي نراه في كتب البلاغة منذ السكاكي (٦٢٦ هـ) إذ أنه هو الذي رتب الفنون البلاغية ترتيبا منهجيا ، هذا هو ما فعله السكاكي في القسم الثالث من كتابه " مفتاح العلوم " حيث بسط فيه فنون البلاغة . وقد جعل كل ما يتعلق بمطابقة الكلام لمقتضى الحال (علم المعاني) ، و كل ما يخص ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه (علم البيان) ، اما ما يتعلق بتحسين الكلام وتزيينه بعد رعاية المطابقة و وضوح الدلالة فقد جعله (علم البديع) (المرجع المذكور، ١٩٩١: ١٩). ولم يأت بعد السكاكي من اضاف إلى مباحث البلاغة اضافة تذكر، وكل من جاء بعده فبظله استظل ، و من بستانه قطف ، كان قصارى جهدهم ان تناولوا كتابه بالاختصار تارة ، و بالشرح أخرى .

ثم جاء بعده عدد غير قليل من علماء البلاغة الذين ألفوا كتبا في البلاغة ، امثال محمد بن على محمد الجرجاني (٧٢٩ هـ) بكتابه "الاشارات و التبيهات في علم البلاغة" ، وابن العاطر الحلبي (٧٣٧ هـ) بكتابه " جوهر الكنز " ، و الخطيب القزويني بكتابه " تلخيص المفتاح " ، و قد أعدنا بحثا خاصا له و لمنهجه البلاغي في كتابه هذا .

و أما المؤلفون و المؤلفات في المجال البلاغي بعد القرن الثامن الهجري منهم عبد الرحمن الأخضري بكتابه " الجوهر المكنون " ، و الشجاعي (١١٩٧ هـ) بكتابه " تحفة الإخوان في علم البيان " ، و الحملاوي (١٣٥٢ هـ) بكتابه "زهر العربي" ، و الجارم بكتابه "البلاغة الواضحة" ، و الخولي بكتابه " فن القول واثر القرآن في تطور

البلاغة " ، و الزيات بكتابه "دفاع عن البلاغة " ، و الراغي بكتابه "تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها " ، و شوقي ضيف بكتابه " البلاغة تطور و تاريخ" ، وبدوي طبانة بكتابه " البيان العربي" ، واحمد الهاشمي بكتابه " جواهر البلاغة" ، و درويش الجندي بكتابه " علم المعاني " ، وعبد القدوس أبو صالح بكتابه "كتاب البلاغة" ، و عبد القادر حسين بكتابيه " فن البلاغة" و " القرآن إعجازه و بلاغته" ، و عبد الكريم الخطيب بكتابيه "اعجاز القرآن" و "الاعجاز في دراسات السابقين" ، وماهر مهدي هلال بكتابه "جرس الألفاظ و دلالته في البحث البلاغي و التقدي" ، وعلى العماري بكتابه "توضيح المعاني" ، و عبد العزيز عرفه بكتابه "نشأة علوم البلاغة واطواره" ، ومحمد أبو موسى بكتابه "التصوير البياني : دراسة تحليلية لمسائل البيان" وما زالت هناك كتب جديدة في هذا المجال لا يتسع المكان إلى سرد كل منها في هذا البحث ، ونتركها على من يأتي ببحث جديد فيما بعد إن شاء الله.

الخاتمة

وبعد ان طفت حول الحديث عن البلاغة وتطورها وصلت إلى نهاية المطاف ، فأقول: إن البلاغة العربية لم تصل إلى حيز الوجود قبل بشر بن المعتمر، بل مازالت في صورة ملاحظات بلاغية، ثم اتضحت معالم فن البلاغة عند الجاحظ عندما وضع كتابه " البيان و التبيين" وان كانت الدراسات البلاغية ما زالت مختلطة بالدراسات النقدية و اللغوية ، ثم بعد ذلك اكتملت فنون البلاغة عند يدى عبد القاهر الجرجاني ، و ازدهرت في العصور المتتالية بعده .

و هذا ما توصلت إليه في هذا البحث عن البلاغة العربية ، ولا أدعي فيه أنني قد أحصيت كل ما ألف في هذا المجال . وحسبي أنني قد جاهدت في سرد رجال البلاغة ومؤلفاتهم مرورا بعصورها المختلفة ، راجيا في أن أكون قد أديت الواجب العلمي لسد بعض النقص في المراجع المتعلقة بعلم البلاغة وتطوره عبر العصور .

وأسأل الله التوفيق و السداد وما توفيقي إلا بالله. وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه أجمعين.

المراجع

الآمدي، أبي القاسم الحسنبن يحي. ١٩٤٤. الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائى وأبو عبادة الوليد بن عبيد البختري الطائي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة.

الجرجاني، عبد القاهر. ١٩٨٣. كتاب أسرار البلاغة، تحقيق هـ ريتر ، الطبعة الثالثة. بيروت : دار المسيرة .

الجرجاني، القاضي على بن عبد العزيز. ١٩٦٦. الوساطة بين المتني وخصوصه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى على محمد البخاري . القاهرة: عيسى البابي الحلبي.

الجرجاني، محمد بن علي محمد. ١٩٨٢: الاشارات و التنبيهات في علم البلاغة، تحقيق الدكتور عبد القادر حسن . القاهرة: دار نهضة مصر.

جعفر، قدامة. د.ت. نقد الشعر . تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. بيروت: دار الكتب العلمية .

خفاجي،محمد عبد المنعم. ١٩٨٣. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني. الطبعة الخامسة . بيروت : دار الكتاب اللبناني

الشكعة، مصطفى. ١٩٧٣. مناهج التأليف عند علماء العرب. بيروت: دار العلم للملايين.

شوقي، ضيف. ١٩٦٥. البلاغة تطور و تاريخ . القاهرة : دار المعارف.

الصديقي، ضياء و عباس محجوب. ١٩٨٩. فصول في النقد الأدبي و تاريخ: دراسة وتطبيق .الطبعة الأولى . المنصورة : دار الوفاء .

طبانه، بدوي ١٩٦٠. أبو هلال العسكري و مقايسه البلاغية و النقدية. الطبعة الثانية.القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.

عباس، إحسان . ١٩٨١. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. الطبيعة الثالثة. بيروت: دار الثقافة.

عمر، رضى كحاله. معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. ١٩٣٢. التلخيص في علوم البلاغة. ضبط وشرح الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي. بيروت: دار الكتاب العربي.

قلقيلة، عبده عبد العربي. ١٩٩١. البلاغة الاصطلاحية. الطبعة الثانية. القاهرة: دار الفكر العربي.

كاظم، حطيط. ١٩٧٧. دراسات في الأدب العربي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

_____. ١٩٨٧. اعلام ورواد في الأدب العربي. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

محمد عبد الحميد ناجي. ١٩٩٦. الأثر الاغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز. النجف الأشرق : مطبعة الآداب جامعة وهبة.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد. ١٩٩٢. خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية. الجزء الأول . الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة وهبة.

المقدسي، أنيس. ١٩٨٤. الفنون الأدبية و إعلامها في النهضة العربية الحديثة. الطبعة الرابعة. بيروت: دار العلم للملايين.